بسم الله الرحمن الرحيم

بحث بعنوان:

التنمية الثقافية في فلسطين بين الواقع والمأمول

مقدم:

للمؤتمر الفلسطيني للتنمية إعادة الاعمار في الضفة الغربية والمنعقد في جامعة النجاح الوطنية

يوم 15/14 آذار 2006م

المقدمة

يأتي انعقاد المؤتمر العلمي الفلسطيني "التنمية وإعادة الأعمار في جامعة النجاح الوطنية وهو بعنوان التنمية الثقافية في فلسطين" في وقت تواجه فيه وفلسطين الأمة العربية تحديات لم يسبق لها ان تعرضت لمثلها" ورغم هذه التحديات الجسام التي واجهتها الهوية العربية قديماً، وحديثاً ، إلا أنها استطاعت وتستطيع التغلب عليها بالتنمية الثقافية وذلك لمتانة وصلابة الأسس والركائز التي ترتكز عليها ثقافتنا الإسلامية ، إضافة إلى ما تنطوي عليه خصائصها المتنوعة من حيوية، وواقعية، وايجابية، وتفاعل معنوي يراعي مقتضيات الفطرة البشرية وملاءمة العصر، وقد اكتسبت الثقافة العربية الإسلامية من الموانع والضوابط التي تحول دون اندثارها وزوالها او احتوائها من قبل اية أنظمة او مبادئ فكرية أو دعوات، أو تيارات او معسكرات ، أو تحالفات قائمة على منظمات عسكرية، او مدنية ، والسبب الرئيس في ذلك ، إن الثقافة الإسلامية العربية الإسلامية قائمة على الوسيطة والاعتدال، اما غيرها من المبادئ الاخرى فقد تدعي اتصافها بالاعتدال لكنها سرعان ما يثبت واقعها وممارستها عكس ذلك فلا ترى منها سوى اللانسانية والهيمنة والواقع يثبت ذلك، ثم إن أي استقراء او تمحيص لمقومات وركائز الثقافة العربية الاسلامية مقارنة مع غيرها يؤكد ويشير بأن الثقافة العربية الاسلامية "هوية متميزة" في اتساقها ، وتوازنها ، وفي جوهرها وموضوعاتها عن الثقافات والمبادئ العالمية الاخرى، ومتمزة كذلك في قدرتها على تحقيق اهدافها عبر اساليبها الجلية، الواضحة التي لا لبس فيها، ولا غموض، وقد ظهر كل ذلك من خلال النتائج الباهرة التي حققتها عبر كل العصور. وهذه النتائج ليست مجرد قوالب لنظريات ومقولات لافكار ومبادئ، بل هي حقيقة صادقة جمعت الشعوب العربية وجميع مواطنيها على اختلاف لغاتهم، واجناسهم، وأديانهم في ثقافية إنسانية واحدة ، وذلك خلافاً لمبادئ وأنظمة اخرى القديمة منها والمعاصرة التي عجزت عن مسايرة الاحكام والوقائع التي تعرض للانسان في الازمنة، والامكنة المختلفة، ولعدم قدرتها أي النظم والمبادئ والثقافات الاخرى استيعاب الالوان والاجناس التي اقتضت المشيئة الالهية اختلافهم السنة ولغات ومن اجل ذلك فقدت تلك الانظمة والمبادئ ديمومة المسار وصدق المقال او الافعال، فغابت عن الانظار وطوتها العصور والدهور وستطوى مثيلاتها ان لم يكن في الحال ففي المستقبل ولا محال، اما الثقافة العربية الاسلامية تقوم على مبادئ علمية وأحكام عملية يشهد لها العمق الروحي والرصيد الذي لا ينتهي والجاذبية الفكرية التي لا زالت تشغل الساسة والعباقرة والقادة ، ويشهد لهذه الهوية ايضاً العطاء العلمي الكبير الذي ساهم فيما حققته البشرية اليوم من " تقدم علمي باهر" . والجامعات والحكومات والشعوب العربية هي اشد ما تكون بحاجة الى المحافظة على الثقافة العربية الاسلامية على المستويين الفردي والجماعي لانها الركيزة الوحيدة التي رسخت كل خصائصها لحماية " انسانية" الانسان العربي الفلسطيني والانسان على وجه العموم وشجعت على رقية الروحي ، والابداعي، مما جعلها ذات رونق ونضارة متجددة كالشجرة التي تؤتي أكلها كل حين لثبات اصلها، وتنوع فروعها ومجالاتها الضاربة في جذور المعرفة والايمان، وإحاطتها بالفطرة الانسانية، ورعايتها التامة للقيم الاخلاقية والسلوكية المتجاوبة مع النواميس الكونية، من خلال هذا المفهوم تظهر اهمية المحافظة على الثقافة العربية الاسلامية لمواجهة شتى قضايا العصر،وتظهر أهمية دور الجامعات في فلسطين في ترسيخ الثقافة العربية الاسلامية لانها عالمية ، نظراً لرسوخها ، وثبات قيمها، وتفاعلها مع قضايا الاجتماع ، والاخلاق ، وحرصها على تنقية النفس وتشجيعها على نبذ التطرف والتمسك بحقائق العلم، والوسطية وقدرتها على حل المعضلات السياسية، والاقتصادية، والبيئية، وتمسكها ، بمبدأ التسامح تجاه الاخرين في فلسطين وخارجها والمحافظة على مقوماتهم وبيئاتهم الثقافية ويشير الكاتب الكردي يشار كمال[1] الحائز على جائزة السلام الالمانية ان الثقافة العربية الاسلامية لم تدمر اية ثقافة لان تدمير اية ثقافة تدمير معناه كل ما هو مصدر ثروة وغنى للبشر. ومما يجدر ذكره ان التحدي الرئيس للثقافة العربية المعاصرة في هذه الايام هو المحاولات الجارية لصبغ الثقافة العربية بصبغة (العولمة) فكراً وعملاً ومناهج وأساليب

[1] الأيام 1997/10/20.

حياة في السياسة والاقتصاد والاجتماع والاعلام ، وتحديات العولمة يظهر خطرها واضحاً من خلال متطلباتها العامة والخاصة، وهذه المخاطر جعلت رئيس وزراء ماليزيا يحذر من هيمنة العولمة على ثقافتنا ، وإذا كان الساسة يحذرون من تحديات العولمة فالأولى بالجامعات في فلسطين ، فالثقافة العربية الإسلامية يصعب اختراقها او اختزالها او وضعها في قوالب العولمة طالما ان النجاح الأكاديمي العلمي هو الذي يصوب مسار الجامعات والمعاهد العليا في فلسطين وهذا ما ينبغي ان يكون دأب الأكاديميين المعاصرين، في جامعاتنا الفلسطينية والعربية، وأعتقد ان الإفرازات السياسية والتوجه الحضاري للشعب الفلسطيني المتمثل في الانتخابات التي حصلت في مطلع 2006م تشير الى اهمية التنمية الثقافية بين جميع فئات المجتمع الفلسطيني، واعتقد ان حقوق المواطنة في فلسطين بين المسلمين والمسيحيين في فلسطين لا يحميها الا التنمية الثقافية التي تحمي القيم وتحدد السلوك وسط بحار الظلم المتلاطمة التي يعيث داخلها فساداً بمحاولات هدم ثقافتنا وتراثنا وأماكن عبادتنا شعب فلسطين بلادها لأنه اختار الطريق التي يرى انها تحقق متطلبات الاصلاح والشفافية والبناء وتساهم في نشر المساواة والعدالة والفضيلة والحرية داخل فلسطين كي تصبح نموذجاً عالمياً ان شاء الله تعالى.

التنمية الثقافية مرتكزاتها ومقوماتها

ينبغي قبل التطرق الى التحديات التي تواجه التنمية الثقافية الحديث عن دعائم ومقومات الثقافة التي ينبغي ان يتم بها اعادة بناء النسق الفكري داخل فلسطين والدعائم هي[1] .

أ-القرآن العظيم: وبه يتم اضاءة الساحة الفلسطينية والعربية والاسلامية لانهاء حالة الهجر والفصام التي يعيشها كثير من المثقفين العرب والمسلمين وهو مصدر الحضارة وأساسها وهو ينبوع القيم والفضائل ولا غنى للثقافة عنه؛ وفلسطين اليوم وفيها المبدعون في الطب والهندسة والصيدلة والقانون والتكنولوجيا ينبغي ربط ابداعتهم بالقرآن الكريم.

ب- " السنة النبوية والسيرة" : حيث ان تأصيل منهج فهم السنة والسيرة النبوية يقوي بناء الثقافة العربية المعاصرة في فلسطين فلا بد اذن من وضع البرامج التي تقوي الصلة بهذا المقوم العظيم. ولا يخفي أن اصواتاً نشاذ تحاول هدم هذا المقوم.

ج-اللغة العربية والتاريخ الإسلامي والعلوم والمعارف والفنون لا غنى عن هذه المقومات أيضاً داخل مجتمعاتنا التي تعمل على صيانة ثقافتنا.

وأضاف بعض العلماء لهذه الركائز الثقافية العلمية والثقافة الإنسانية[2] **فالمقوم الأول القرآن الكريم** : وصفه الله تعالى بأنه الروح " وكذلك أوحينا إليك روحاً من امرنا"[3] والروح من طبيعته الحركة والحيوية وهذا هو ما يفعله المقوم الأول بالثقافة ولابد بهذه الحيوية من إدراك خصائص القرآن من حيث انه كلام الله تعالى أنزله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم للتيسير والتسهيل ورفع الحرج عن الناس وقد جاء بلسان يؤكد على التنمية الثقافية العربية والقرآن كتاب فيه كل الحلول لكل الازمات وهو زاد المثقفين الذي لا ينقطع، وهو المقصود لتجديد النماذج البشرية الفاضلة السلوك. وهذا المقوم يلزم معه الإطلاع على العلوم المرادفة له، وأساتذة الجامعات في فلسطين ينبغي أن تكون عندهم القدرة لأحداث التفاعل بين الطالب وبين القرآن الكريم، في الكليات الإنسانية وفي الكليات العلمية في الطب والصيدلة والهندسة والصيدلة والتكنولوجيا على حد سواء ، وإنني اضرب لذلك مثالاً على ما تستطيع الجامعات الفلسطينية تقديمه من خلال الأبحاث العلمية نصائح لطلبتها في التعامل مع شبكة الانترنت حيث ان الشبكة فيها من المواقع العلمية التي يستفاد منها وفيها من المواقع التي تتعارض مع قيمنا وأخلاقنا العربية بل أن بعض المواقع أصبحت تشكل إدمانا لا يقل عن إدمان المخدرات والمسكرات، كما أنني أريد أن اذكر مثالاً آخر لما تقوم به الجامعات من دور ريادي فكري وسلوكي، ففي السلوك مثلاً ينبغي الالتزام بالأوامر الربانية في شتى شؤون الحياة في الطعام والشراب واللباس..... ففي الطعام مثلاً جاءت الاوامر القرآنية بضرورة التسمية والتكبير على ذبائح اللحوم والطعام " فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين" الانعام آية 118" ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه" الانعام 121بناء على هذه الاية قام فريق من كبار الباحثين في الجامعات السورية بإجراء تجارب على اللحوم المسمى عليها والمكبر عليها واللحوم غير المسمى عليها واثبتت التجارب المخبرية للاساتذة المختصين في مجال الطب المخبري، والجراثيم ، والفيروسات ، والعلوم الغذائية ، وصحة اللحوم والباثولوجية التشريحية والأمراض الهضمية ان نسيج اللحوم المذبوحة بدون تسمية وتكبير مليء بمستعمرات الجراثيم ومحتقن بالدماء خلافا للنسيج المسمى عليه، ووصف الدكتور خالد حلاوة والدكتور نبيل الشريف عميد كلية الصيدلة السابق في جامعة دمشق وهما من ضمن الفريق الذي قام بالبحث إن هذا الاكتشاف الكبير يمثل ثورة علمية في مجال صحة الانسان وسلامته المرتبطة بصحة ما يتناوله من لحوم مسمى او مكبر عليها من حيث العقامة الجرثومية كما تبين من الاوساط التشخيصية أن نمواً غزيراً من المكورات

---

[1] د.طه جابر علواني. من مقدمة كتاب كيف نتعامل مع القرآن . ومحمد الغزالي دراسة أ، عمر حسنه ص1.

[2] ثقافة الداعية ص 149.

[3] الشورى52.

العنقودية والعقدية للدم ومكورات أخرى وجراثيم سلبية مثل العصيات الكولونية والفراء المغذي لجراثيم غزيرة أخرى على اللحوم غير المسمى او المكبر عليها[1] .

فأهم ركائز التنمية الثقافية إذن " القرآن الكريم" حيث ان الثقافة الاسلامية اكتسبت حيويتها من أهم مقوم وهو كتاب الله تعالى الذي تقوم عليه " عقيدة التوحيد، ومنهج الحق، وشرعة العدل ، وقيم الخير ورسالة الهدى والاستقامة ولا يستقيم امرها الا به، وبه صنعت الامة تاريخها وبنت صروح أمجادها في فلسطين والدنيا وبه يتحقق الانسجام بين الفكرة والوجدان من جهة وشؤون الحياة وأوضاعها من جهة اخرى"[2] .

يقول الله تعالى : " وأن صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله"[3] . ومن التحديات التي تواجهها التنمية في الجامعات أن ركاماً من الغشاوات والحجب الكثيفة حالت بين القرآن الكريم وبين فئات من المثقفين والجامعيين- على اختلاف تخصصاتهم- وذلك نتيجة وقوعهم في منطقة الجاذبية الغربية وثقافتها. ولا شك ان الجامعات تستطيع تقويم طلبة الجامعات بمساقات متنوعة تطرح لهذه الغاية[4] ، واعتقد ان المنهج المؤدي للانجذاب في أصول الثقافة الاسلامية المتمثلة بالمنهج الالهي " القرآن الكريم" ، وهذا الخوف ليس جديداً بل هو خوف قديم منذ بعثة النبي صلى الله عليه وسلم حيث سجل القرآن ذلك مبيناً الطريق التي اختطها الرافضون لكتاب الله تعالى مذكراً بمقولة اصحاب هذا المنهج:" وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون" ورائد المنهج الجاهلي هو ابو جهل الذي قال لاتباعه " اذا قرأ محمد القرآن فصيحوا في وجهه حتى لا يدري ما يقول " وقال الضحاك في مناسبة نزول هذه الاية الكريمة أن قريشاً قالت: أكثروا الكلام ليختلط عليه أي محمد ما يقول، وقد فعلوا ذلك لان القرآن اعجزهم وكشف عيوبهم وتشير الروايات الى انهم كانوا يلغون بالسجع، والرجز، ولكن هذا كله ذهب ادراج الرياح وكانت الغلبة للقرآن الكريم لانه يحمل سر الغلب، انه الحق والحق غالب مهما جهد المبطلون[5] . وفي العصر الحديث تتكرر نفس الطريقة بالمهرجانات والكرنفالات والمواسم الثقافية السنوية وما يسمى سوبر ستار وستار اكاديمي حيث تبدو الغاية التي من اجلها تقام تلك المهرجانات واضحة جلية (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) . ومما لا شك فيه ان مسؤولية عودة المنهج القرآني (للعلوم الجامعية) والحياة العامة تقع بالدرجة الاولى على الاساتذة والدكاترة الذين يقومون بتدريس المواد المرتبطة بالثقافة الا ان مسؤولية الاساتذة الاخرين من حملة التخصصات الاخرى تبدو في غاية الاهمية لبيان المفهوم والمنهج القرآني في العلوم المرتبطة بالكون، والانسان ،والحياة ، وذلك توطئه لاحياء نموذج " الحضارة الاسلامية في فلسطين مع ضرورة الادراك ان الحضارة الحديثة المادية البحتة قد وصلت الى ارقى ابداعاتها المادية بعيداً عن المفاهيم الدينية بسبب تفاعل علماء الغرب في أوروبا وأمريكا مع مقتضيات البحث والتجربة والعلم فيما يتعلق بالكون والإنسان والحياة ، ولا يخفى على أحد من المتبصرين ان الحضارة الحديثة عجزت عن تحقيق مبادئ الخير والحق للإنسان والشواهد على ذلك كثيرة[6] . ويرى أحد العلماء الأجلاء إن إحدى المشكلات والتي يعاني منها واقع التنمية الثقافية المعاصرة هي ان الحضارة الإسلامية كانت في الماضي تدور مع القرآن، وإذا أريد الآن النهوض بها والسعي لتجديد مقوماتها فمفاتيح تجديدها لم تتوقف ولم تذبل ان سننها واركانها وعناصرها و الطريق إليها مبثوثة في المنهج القرآني[7].

هذا ويمكن القول أن الدلالة القرآنية حول العلاقة بين الإنسان ، والكون ، والحياة تعود إلى مفاهيم ثقافية كنتيجة إبداعية هائلة ، واعتقد ان اساتذة الجامعات يستطيعون تقديم النموذج الحقيقي على ذلك من خلال التوجيهات القرآنية فيما

---

[1] جريدة القدس 2003/2/2ص25.
[2] د. عمر الخطيب لمحات في الثقافة ص56،57 بتصرف.
[3] الانعام آية 152.
[4] د. محمد سعيد رمضان البوطي. منهج الحضارة في القرآن ص166-بتصرف.
[5] القرطبي ج15 ص356 وابن كثير ج4 ص98 وظلال القرآن ج7 ص239.
[6] منهج الحضارة الانسانية 169-171 بتصرف.
[7] المرجع السابق.

يتعلق بالعلوم الكونية، والعلوم الانسانية، والاجتماعية ، ويمكن لكل أستاذ في الجامعات الفلسطينية تخصيص عدة ساعات خلال الفصل الدراسي ليشاهد الطلاب بعض الاشرطة العلمية التي تتناول هذه العلاقة بين الكون والحياة والانسان من منظور قرآني، وإجراء مناظرات وحوارات علمية في علوم الفلك، والفضاء، وعلوم البحار، والانسان والبيولوجيا مع مجموعة من علماء أجانب، أو علماء عرب من جامعات أخرى بحضور الطلبة للمشاركة في الحوار والنقاش. ومن السهولة بمكان إجراء ذلك عبر الفيديو كونغرس مع جامعات أخرى وهو ما قامت بجامعات فلسطين.

المنهج العلمي والرؤية القرآنية ودور الجامعات في إبرازها:

ولكي تؤكد الجامعات في فلسطين على التنمية الثقافية فلا بد ان تعود المنهج العلمي الذي ينطلق من الرؤية القرآنية للسنن الكونية كما فعل ابن الهيثم، وجابر بن حيان، والخوارزمي الذين فهموا ان التصور الحضاري للقرآن يبني أمة ويفتح ابصارها على الكون[1]، وينبغي على الاستاذ الجامعي الاستفادة من الرؤية القرآنية في العلوم الاجتماعية والانسانية والفقه الدستوري، والدولي، والفقه الاداري، وكذلك الاستفادة وإدراك السنن الالهية في الانفس والافاق والعمل على تكوين فهم متميز للخطاب القرآني من خلال المساق الذي يدرسه وتأسيس منهج العودة الى القرآن[2].

ويشير كثير من العلماء الى أن مستقبل التنمية الثقافية مرهون بالعودة الى النبع[3] "تبع القرآن الكريم" المقوم الاول للتنمية الثقافية.

ب- والمقوم الثاني للهوية العربية هو السنة النبوية: وتشمل توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم قولاً، وفعلاً ، ووصفاً ، وسيرة ، وهي النموذج العملي للابداع العملي، والسلوكي للتنمية وعلى الاستاذ الجامعي الاستفاضة في ذكر الشواهد المؤدية لأغراض التقويم معتمداً على كتب الشمائل والهدي النبوي ومقاوماً محاولات التشكيك بالسنة والاحاديث الصحيحة[4] . وينبغي على المدرس الاطلاع على علوم الفقه والعقيدة وأصول الفقه والعلوم المرتبطة بها لانها روافد للتنمية الثقافية ومن التحديات التي تواجهها الثقافة: عن طريق هذا المقوم محاولات التغييب لسنة النبي صلى الله عليه وسلم والاساءة لشخصية الصحافة وفي المناهج والمنتديات الفكرية والادبية والعلمية خارج فلسطين كما حصل في الدنمرك وبعض دول اوروبا قبل شهر ورغم كل هذه المحاولات الا ان سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسنته قد بلغت الآفاق، " يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره المشركون " وقد صدر في أمريكا قبل عشرين سنة كتاب المؤرخ الامريكي " مايكل هارت بعنوان " المائة العظام في التاريخ" وقد أثار الكتاب جدلاً كبيراً في الاوساط الثقافية، والعلمية، والدينية، بسبب اختياراته ولعل أهم جدل ثار كان حول اختياره لشخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كأهم وأعظم انسان عرفه تاريخ البشرية. ويعقد صاحبه كل سنة مؤتمراً صحفياً يجدد فيه إصراره على اختياره للرسول محمد صلى الله عليه وسلم؛ وقد طبعت ملايين النسخ من الكتاب بلغات عدة، والمؤلف يقول في مقدمة الكتاب: أعلم ان اختياري محمداً صلى الله عليه وسلم على رأس قائمة عظماء التاريخ سيدهش أناساً للتساؤل والجدل. ولكن محمداً صلى الله عليه وسلم هو الرجل الوحيد في التاريخ الانساني كله الذي نجح على الصعيدين الديني والدنيوي، أنه النبي الذي جاء بدين الاسلام العظيم وكان في الوقت نفسه سياسياً عظيماً ونفوذه ما زال قوياً وفعالاً رغم مرور 14 قرناً على بدء رسالته. والذي يثير الاعجار أن محمداً صلى الله عليه وسلم ولد عام 570م في مكة المكرمة التي كانت في ذلك الوقت منطقة بعيدة عن مراكز العلم، والحضارة، والفنون، حيث لم يدخل المدرسة، وكان أمياً وكان أكثر العرب يومئذ يعبدون الأوثان وفي الاربعين من عمره، نزل عليه الملك جبريل عليه السلام بكلام الله وأعلن دعوته، وآمن به المستضعفون وتعرض للأذى الشديد فهاجر للمدينة 622م فكانت

---

[1] مع القرآن. محمد الغزالي ص40-45 بإختصار.
[2] المرجع السابق.
[3] حول مستقبل الاسلام . عماد الدين خليل. فلسطين المسلمة عدد حزيران 1993 نقلاً عن انسانية الاسلام بوازار ترجمة عفيف دمشقي ص375.
[4] د. القرضاوي. ثقافة الداعية ص71.

هذه الهجرة نقطة تحول في التاريخ البشري كله، وعاد الرسول صلى الله عليه وسلم الى مكة عام 630م فاتحا منتصراً ، ووحد النبي الجزيرة العربية، وبعد وفاته انطلقت جيوش الاسلام في اعظم فتوحات عرفها التاريخ رغم أن العرب المسلمين لم يكونوا من حيث العدد والعدة في مستوى الذين حاربوهم وكادت تلك الجيوش ان تدخل كل اوروبا لولا الهزيمة التي لحقت بالقائد المسلم عبد الرحمن الغافقي في جنوب فرنسا، وحتى بعد الفتوحات الاسلامية ظل الاسلام ينتشر في آسيا وأفريقيا بدون جيوش كما حصل في إندونيسيا وغيرها..... ويضيف المؤلف مايكل هارت في كتابه " أن نزول القرآن باللغة العربية حافظ على اللغة التي يتكلمها العرب من المحيط للخليج فلم تتشرذم، ولم تندثر كما اندثرت لغات أخرى، ولا زالت رسالة الاسلام فيها منطلقات توحيدية عديدة بالرغم مما يبدو على السطح من نزاع وفرقة بين الدول العربية في الوقت الحاضر فهناك اللغة المشتركة والثقافة الواحدة والتاريخ والعادات والتقاليد المشتركة[1] . اذا كان مايكل هارت يقول ذلك فمن بابا أولى فالجامعات بدورها التوحيدي تستطيع اعادة اللحمة ووصل ما انقطع من كيان الامة.

ج- " اللغة العربية": هي لغة القرآن الكريم وهي مقوم من مقومات الثقافة باعتبارها الوسيلة الوحيدة للتلاقح،والتلاقي الفكري ،والروحي، وهي بمفرداتها وتراكيبها وقوانينها اشبه ما تكون بخلايا الجسم الواحد المتفاعلة مع بعضها بعضا حيث تقوم كل خلية بمهمتها وعلى غرارها تحمل اللغة سمات الامة ومميزاتها المتوارثة من جيل الى جيل، فهي عبارة عن كائن ينبض بالحياة ومرآة تعكس شخصية الامة وحضارتها وتقاليدها وقيمها فهي الوعاء الحافظ لتراثها واللغة العربية استوعبت وبفترة وجيزة جداً حضارات غير العرب وساهمت في تقدم وارتقاء وازدهار العلوم بحيث اصبحت لغة حضارية والتحدي الذي واجهته اللغة العربي في جناحي الوطن العربي والاسلامي والمتمثل بمحاربتها انما كان لغرض هيمنة هوية المستعمر لدحر هوية العروبة والاسلام[2] ومن التحديات التي واجهتها اللغة العربية اتهامها بأنها لغة الماضي وليست لغة المستقبل،وانها لغة الدين، وليست لغة الحياة، وانها لغة الادب ، والشعر ، لا لغة العلم، والحضارة،وقد ظهرت في عدة بلدان عربية (مصر،سوريا، لبنان، بلاد المغرب العربي) دعوات لاحياء اللغات المحلية[3] إلا أنها فشلت وساهمت الجامعات في فلسطين وخارجها في قوة ومتانة اللغة العربية.

ومن الاكاذيب التي روجها الاستعمار الفرنسي في بلدان المغرب العربي ان اللغة العربية لغة تخلف ، لا تصلح للحضارة وانشأ المستعمر الفرنسي الجمعيات والمدارس التي تسعى للقضاء على الهوية العربية عن طريق محو العربية وقطع كل الروافد التي تعتمد اللغة العربية كالمساجد والزوايا التي قام بتدميرها إضافة لتشجيع البربر على تعلم الفرنسية تمهيداً لفرنستهم وتجريدهم من الهوية وقد كان من سياسة فرنسا في الجزائر تعليم البربر كل شي الى العربية وثقافة الاسلام، ويرى مؤلف كتاب" الاسلام وأوروبا" بأن اللغة العربية لها دور كبير في تحديد التنمية الثقافية وهي تشكل عامل وحده للناطقينبها وعامل الوحدة ذو طبيعتين ثقافية، وعاطفية في آن واحد وهما أمران متلازمان ومتداخلان ولهذا ينبغي عدم الاستهانة بالشعور الوحدوي العميق الذي يجمع العرب والمسلمين بالرغم من خصوماتهم، وتوزعهم في دول مستقلة ، فهم يحسون بانتمائهم الى لغة واحدة، ونمط متشابه في الحياة، وتقاليد وظواهر اجتماعية مرتبطة بالموقف الفقهي[4] وحتى يؤدي مقوم اللغة دورة في ترسيخ الثقافة ينبغي على الاستاذ الجامعي ان يتحاشى اللغة المؤدية للجفاء، والملل، والاعياء الذهني وكذلك الاسهاب الانشائي الذي يمارس اسرافا في التعبير الامر الذي يؤثر على الحقيقة العلمية اذ لابد من عرض الفكرة بأسلوب جميل، واضح، سلس ولغة واضحة جذابة،وهذا يساعد الاستاذ الجامعي ايصال الموضوع الى وحدان الطلبة وعقولهم[5] وهذا هو الطريق السليم لترسيخ التنمية الثقافية العلمية طريق الجامعات ، ويشير المستشرق الفرنسي المفكر جاك بيرك أن " اللغة

---

[1] جريدة القدس 1993/9/17.
[2] مجلة المجتمع الكويتي ص31 عدد 794 تاريخ 98/12/2.
[3] التبشير والاستعمار. د. مصطفى الخالدي وعمر فروج. ص224-225.
[4] العرب والاسلام وأوروبا . اندريه ميكال ودومنيك شفاليه وآخرون. عرض خالد زيادة. عن مجلة العربي عدد 432 نوفمبر 199م.
[5] اسلامية المعرفة. عماد الدين خليل ص55.

العربية " لغة عتيقة أي أصيلة وبدونها لا يمكن تحقيق الوحدة والتكامل في العالم العربي [1]، وينبغي على الأستاذ الجامعي التركيز على مقوم اللغة العربية كأحد مصادر ومقومات الهوية ويقول الأستاذ القرضاوي في ذلك :" إذا كانت الثقافة الدينية لازمة في الدرجة الأولى فإن الثقافة الأدبية واللغوية لازمة له كذلك فالأولى تلزمه لزوم المقاصد والغايات ، والثانية أي " اللغة " تلزمه لزوم الوسائل والأدوات و الأدوات ، واللغة بمفرداتها ونحوها وصرفها لازمة لسلامة اللسان وصحة الأداء فضلاً عن حسن أثرها في السامع بل صحة الفهم أيضاً [2].

والنبي صلى الله عليه وسلم أولى هذا الجانب المكانة والأهمية وكان صلى الله عليه وسلم يستمع الشعر وأذن فيه لبعض الصحابة (حسان وابن رواحه وكعب بن مالك) وكذلك فعل الخلفاء الراشدون ولا يخفي على أحد النتائج الباهرة في استشهاد الأمثلة الأدبية واللغوية المؤثرة في المساقات التي تعطي في الجامعات وهذه المساقات أفشلت مخطط القضاء على اللغة العربية والذي كان مخططاً مدروساً نفذ بتؤدة وإصرار وقد بدأ هجوماً على الحروف العربية إلا أن هذه المخططات فشلت ولم تحقق أهدافها . ولا شك أن تعريب العلوم من مقومات المعرفة والتنمية الثقافية واحد عوامل الإعداد الثقافي ، ومن أجل ذلك لا بد من الدعوة لتعريب العلوم في الطب والهندسة والكيمياء وغيرها ، والذين يستطيعون التعريب في الجامعات كثيرون [3]. أن دعوات " التعريب " لا تعني هضم الحقوق الثقافية للناطقين بغير العربية بل ينبغي صيانة هويتهم الثقافية على أن تكون اللغة الأم هي اللغة العربية ولا يغيب عن البال أن أعداء التنمية الثقافية يشجعون إحياء اللغات غير العربية لتفويض اللغة العربية وقد كانت قضية التعريف من قضايا الصراع الثقافي في الجزائر بين مؤيدي التعريب وبين معارضيه الداعمين لعدم التعريب والاكتفاء باللغة الفرنسية إضافة لتشجيع اللغة الامازيفية على حساب اللغة العربية [4]. اما في فلسطين فالغلبة للعربية فصحى وليس للعامية .

إن ربط المثقف العربي بلغة القرآن فيه شد لازره للحفاظ على هويته وفصل المثقف العربي عن لغته يؤدي إلى خلل في هويته، ولهذا كانت الدعوات لاستبدال العربية باللاتينية او استخدام اللغة واللهجات المحلية عوضاً عن الفصحى تحمل في طياتها مخاطر أخرى كالدعوة إلى إحياء الهوية الفرعونية ، والآشورية ، والبربرية ثم إن الذين يفضلون استعمال العامية في الفنون الشعبية المختلفة لتصبح مصدراً من مصادر التعليم يحمل نفس المخاطر[5] والصراع الثقافي المؤدي إلى الدمار والخراب وأحداث الجزائر تؤكد ذلك منذ ان توعدها القس زويمر بعد احتلال الجزائر 1830الذي قال " جئنا للجزائر لنبدل لغة بلغة وثقافة بثقافة [6]، ولنجاح التنمية الثقافية فلا بد من قيام هذه اللحمة بين الثقافة واللغة العربية [7]، والجامعة هي المؤسسات الأكاديمية التي توحد العقول والقلوب والأفكار وتحقق صدق الانتماء للوطن في مرحلة حاسمة من تاريخ فلسطين.

<u>والمقوم الذي يعبر عن ذاكرة الأمة (مقوم التاريخ العربي)</u> فمن الضروري الالمام بتاريخ الإسلام لتوسعة الآفاق الفكرية لدى الطلبة باعتبار الإسلامي الصادق هو سجل تخريج الرجال والقادة ، وعلى مدرس التاريخ في الجامعات التركيز على المقوم الأخلاقي للتاريخ ، واتجاهات الأحداث فيه واجتناب التركيز على الجزيئات والسلبيات ، وأن يربط الحوادث والوقائع بأسبابها وعللها المعنوية والأخلاقية وأن يشير إلى مدرس التجديد في التاريخ العربي وعلى مدرس المساق تحذير الطلبة من مناهج المستشرقين الذين يحالون العبث بالثقافة عن طريق الروايات غير الصحيحة [8].

---

[1] جريدة الحرية التونسية . الملحق الثقافي عدد 91/1/4 ص 4.
[2] ثقافة الداعية ص 115 بتصرف .
[3] حصادر الغرور ص 108 بتصرف .
[4] الحياة اللندنية . رغيد الصلح 1998/5/20 م الجزائر ، وإشكاليات الهوية الثقافية ص 106.
[5] حصوننا مهددة ص 77، الفكر الإسلامي الحديث ص 460 والإسلام والحضارة ص 217 .
[6] مجلة العربي عدد 485 نيسان 1999.
[7] من أجل التغيير – مالك بن نبي . ص 59.
[8] المرجع السابق ص 102.

وعند تدريس مقوم التاريخ الإسلامي في فلسطين فهناك شروط وضوابط منهجية لتدريسه ومنها :-

1) التأكد على ضرورة ملامح التفسير الإسلامي للتاريخ من جهة والقيم الأساسية التي يتمخض عنها تحليل التاريخ الإسلامي[1] ، والتفسير الإسلامي للتاريخ يستبعد أي نقيصة للثقافة العربية . ويؤسفني القول أن بعض متخصصي التاريخ يحاولون هدم ثقافتنا عن طريق التاريخ.

2) إن تدريس التاريخ بحاجة إلى البناة الذين يملكون الحس النقدي أكثر منه إلى النقاد الذين يصوبون سهامهم لثقافتنا في فلسطين وخارجها .

3) تحقيق التوازن بين الجوانب السياسية والعرض الأكاديمي للوقائع التاريخية من جهة وبين فحص الجوانب الحضارية واتخاذ مواقف فلسفية لتفسير الوقائع .

4) الأخذ بأسلوب نقدي رصين في التعامل مع الروايات والاستفادة من علوم مصطلح الحديث كالجرح والتعديل في هذا المجال .

5) الاعتماد في بناء البحث التاريخي على الواقعة نفسها ، واتخاذ موقف علمي تجاه معطيات الذين يحاولون تشويه ثقافتنا ، واعتماد موقف العدل ، والتنويع في اعتماد واستخدام أساليب البحث العلمي ، وإعادة تقسيم الفترات الزمنية لمراحل التاريخ المتوافقة مع الثقافة والضرورة التاريخية ، وأستاذ الجامعة ولمواجهة تشويه المقوم التاريخي ينبغي أن يتسلح بالمعطيات الحضارية التاريخية الإسلامية وحركة المجتمع العربي عبر التاريخ ، وعوامل الانتشار للهوية العربية[2] وفهم طبيعة الهوية العربية وذلك للتصدي لكل محاولات الاختراق للهجوم المضاد على التاريخ العربي الإسلامي كمقوم من مقومات الهوية العربية [3] والثقافية وخاصة في فلسطين.

<u>أما مقوم العلوم والفنون</u> ينبغي أن تكون الجامعات الفلسطينية نموذجاً للفن الإسلامي وتظهر فيها الإسهامات للعلماء العرب في علوم الطب ،والفلك،والكيمياء ،وعلم الزلازل،والزراعة والجغرافية الجيولوجية ،والعمارة والجبر والحساب والبيمارستانات، وإظهار خصائص الفن من حيث الأصالة والإبتكار والروح والزخرفة وإبراز عناصر هذا الفن وإبراز المعاير التي قام عليها هذا الفن وتجديد عناصره بما يتلائم زمانا ومكانا للهوية العربية .

ويشير د.زهير القيسي إلى أن علماء الإسلام درسوا الظواهر الجيولوجية المختلفة في عصرهم فكتبوا في الفلك والمعادن والصخور وعلم الطبقات وعلم البحار والخرائط وعلم الحفريات والزلازل .....ومن اشهر العلماء الذين اهتموا بالزلازل ابن سينا والقزويني والبيروني والفارابي وجابر بن حيان والكندي والسيوطي حيث بينوا أثر الظواهر والجيولوجية على الأرض . وفي علم المعادن والفلزات صنف علماء الإسلام الكتب المتخصصة فيها وبصفاتها ، وأشكالها ، وأوزانها ،وألوانها ن وبريقها ،وشفافيتها،وقساوتها ،والتراكيب الكيماوية لبعضها وبرز من العلماء في هذا المجال ابن الأكفاني 749ه/1348، وابن ماسويه 243ه والتعايشي 701ه والخازني وغيرهم ، وفي علوم الفن الإسلامي من خلال الزخارف والصور النباتية والخطوط وفي العمارة والزخارف اللوتسية في المنسوجات الهندسية والخزف والأرضيات الرخامية بحيث بدت حواضر العروبة في صورها الزاهية وقد رسمتها يد فنان عربي [4] ، والجامعات العربية اليوم عليها إحياء الفن العربية بجميع صورة وأشكاله وأنواعه المتوافقة مع الهوية العربية .

أما الفن المعاصر هو فن إثارة الغزائز وقد اعترف الكاتب لطفي الخولي رئيس لجنة تحكيم المهرجان القومي للسينما الروائية الثالث والمنعقد في القاهرة 1993عندما خاطب الفنانين والمبدعين بقوله: إن رجال السنما المصرية توجب

---

[1] مدخل إلى الإسلامية المعرفة د . عماد الدين خليل ص 67-79 بتصرف واختصار .

[2] المرجع السابق بتصرف.

[4] 2جريدة صحيفة السبيل 2000/5/32

دق ناقوس الخطر ، وذلك لما نراه من الدوائر المفرغة من العنف غير المبرر ، وأجواء الحشيش والشم والجنس ، فبدل من أتن تتوجه السينما إلى غرائز الجمهور يجب أن تتوجه إلى عقله ووجدانه[1]، إن الفن الحقيقي هو الفن المفعم بالتناسق والهدوء وليس فن الإثارة والجنس ، ومن العجيب أن يقترن الفن بالعبث والجنس بدل اقترانه بالإبداع الروحي والأدبي والعمراني الذي ظهر في عصور الإسلام الزاهرة ، ويأتي دور الجامعات في تصويب الفن ورقية ورفعه من الانحطاط الذي وصل إليه عبر الصوت والصورة والأفلام الشادة !!! إنه مقوم العلوم والفنون يقتحم كل أبواب العلوم الطبية والرياضية والكيميائية والجغرافية والفلكية وفي الوقت الذي كانت مساجد مكة ، والمدينة ، والقاهرة ، ودمشق ، والقيروان وبغداد عبارة عن جامعات تقوم بتدريس العلوم المتعلقة بكروية الأرض وحركة الأفلاك والأجرام السماوية كانت عقول الأوروبيين مليئة بالأوهام والخرافات وعندما بدأت حركة الترجمة لم يجد الأوروبيون كتبا يدرسونها سوى المؤلفات العربية كالقانون في الطب لأبن سببا والحاوي للرازي ومؤلفات ابن الهيثم في الرياضيات والفك وهكذا ... وأن هذه المقومات كانت سبباً لإنشاء المعاهد والمؤسسات العلمية ودور الرعاية والضيافة والمكتبات الخاصة والعامة وغدت المجالس والندوات في كل حاضرة من حواضر الإسلام معلماً من معالم تلك الحواضر والعواصم الكبرى ، والجامعات اليوم تستطيع القيام بهذه المهمة ، والفن الإسلامي يتناول مجال الطبيعة الحقيقي وهو الجمال الروحي في الخليفة والزخرفة والعمارة والأزياء والأدوات التي تدعو للفضيلة إضافة إلى المآثر العمرانية الخالدة ويرى الفنانان الأمريكي والبريطاني ما يكل سوغيتش وساندرز بيتر أن الثقافة العربية الإسلامية ثقافة غنية بفنها الروحي العميق [2]. ويظهر جمال الفن في آفاق الخط العربي واللوحات العريضة ويشير الناقد المصري علي الراعي أن جوائز الدولة للإبداع الثقافي يهبط عاماً بعد آخر وذلك أن الفن تحول إلى مشاهد جنسية مريضة[3] وهذا ما على الجامعات أن تعالجه في فلسطين .

خصائص الثقافة التي نحتاج إليها للتنمية الثقافية

ويرى بعض العلماء [4] أن خصائص الثقافة هي :-

1) قيامها على أساس الوحدانية المطلقة في العقيدة وخلوها من كل مظاهر الوثنية التي قد تتسم بها بعض المبادئ.

2) إنسانية النزعة ، والهدف ، وعالمية الأفق والرسالة ، واعتمادها الأصول العلمية ، وعصورها الذهبية تثبت ذلك في فلسطين وخارجها.

3) التحكم الأخلاقي في نظمها ومختلف ميادين نشاطها.

4) التسامح الديني الذي يشهد عليه الواقع والتاريخ في فلسطين وذلك لأن الثقافة تقوم على ثقافة ربانية تتصف بالشمول والتوازن والتكامل والتناسق ، والعموم والعالمية والايجابية والعمق والرصانة والترابط والتماسك[5] ، وهي تتسم أيضاً .

1) بالثقة الكاملة بالهوية والانتماء. 2) كمال تصورها للانسان والحياة .

3) وحدتها المترابطة المتناسقة. 4) بثها روح التميز في الأمة والتميز تميز فضائل والواقع الفلسطيني في مقارنة الاحتلال يثبت ذلك .

5) إيجابية في روحها. 6) اخلاقية في دعوتها.

7) رعايتها للوحدة الإنسانية والمثل العليا ليس للجنس العربي في الشرق الأوسط بل لجميع البشر، وهذا ما شعب فلسطين من الانحدار لهو الطائفية والشعبوية التي شجع عليها أعداد الثقافة الإسلامية وانغمس فيها من خرجوا على روح ثقافتنا .

---

[1] القدس 1993/5/2م.
[2] القدس ، 2000/4/18.
[3] القدس، 1997/11/17.
[4] من روائع حضارتنا د. مصطفى السباعي 23-26 بتصرف واختصار.
[5] دراسات في الثقافة الإسلامية د. صالح ذياب ص 24/21 ومعالم الثقافة د. أمير عبد العزيز ، ص 29.

التنمية الثقافية وموقفها من " محاولات الاستئصال المعاصر" التنمية الثقافية تقوم على أسس ومبادئ إنسانية خلافاً للمبادئ والنظم الأخرى التي أصبحت تمارس التمييز العنصري ضد الثقافة الإسلامية بحجة محاربة الإرهاب وما يجري على الساحة الفلسطينية والعالمية ضد العرب خير مثال على ذلك ، ولا يخفي أن الاحتلال العسكري الأمريكي للعراق واحتلال فلسطين من قبل إسرائيل يخفي وراءه أهدافاً عنصرية تسعى لاستئصال ثقافتنا ووجودنا في فلسطين .

إن الثقافة الإسلامية صبغت شعوبها بصبغة إنسانية عجزت عنها دول ونظم تزعم أنها دول ديمقراطية.

وخصائص ثقافتنا العربية الإنسانية: شواهدها كثيرة لا أثر فيها لتمييز عرقي أو عنصري وهذا بدوره ساهم في تأصيل مبدأ التسامح الديني بين الشعوب التي استظلت بظلال العروبة و الإسلام وكان لهذه الثقافة دورها في أخلاق العرب سلماً وحرباً ليس مع الإنسان فحسب بل مع كل كائن حي من حيوان وشجر، **وحيث أنها ثقافة عربية إنسانية** فمن مقتضاها ومن طبيعتها أنها عالمية إنسانية لم تأت بثقافة لأمة من الأمم بل هي للبشرية جمعاء ، حتى تستظل بظلال مبادئها العالمية السمحة " **الإحسان والتسامح**" والنصوص التي تبين هذه الخصيصة كثيرة ومتعددة والوقائع تثبت أن مقومات ثقافتنا وركائزها كثيرة أو جبت هذه الخصيصة والصفح والبر وحسن المعاملة مع الناس جميعاً باعتبار أن الأصل في العلاقة بين البشر هو التعارف والتعاون بعيداً عن النزعة العدوانية والتجافي عن الظلم والطغيان. **يقول د. فريد هليم كرول الاستاذ في معهد علم الاجتماع بجامعة فيينا بالنمسا:** إن ثقافة العربي ثقافة تسامح تجاه الآخرين خلافاً للمجتمعات الأوروبية التي تتسم نظرتهم للعرب بالتعصب والعنصرية[1] .

بواعث التحريض على الثقافة الإسلامية

دأبت القيادات السياسية والعسكرية المعادية على التحريض ضد العروبة وضد كل ما يمت بصلة لها من ثقافة ولغة وحضارة ومبادئ وأفكار . ولعل من غرائب الأمور أنه وأثناء حرب الخليج الثانية وأثناء زيارة **الرئيس الإسرائيلي حاييم هرتصوغ** لمدينة استنبول بمناسبة مرور خمسمائة عام على افتتاح كنيس يهودي فيها بعد لجوء اليهود الهاربين من إسبانيا 1453م إلى البلاد العربية ضمن الرئيس الإسرائيلي خطبته تحذيراً شديداً من الداعين لعودة نظام عربي إسلامي عالمي وهاجم في خطبته العروبة فكراً وأمة وثقافةً . وظهرت تيارات تحريضية عالمية ضد ثقافتنا بعد انتخابات 2006 م في فلسطين فلماذا ؟ والتحريض لم يتوقف منذ قرن كامل . بل من قرون طويلة.

أما رئيس وزارة إسرائيل الأسبق بنيامين نتياهو وفي كتابة " مكان تحت الشمس "" حذر من القوة المنبعثة في العالم العربي حيث قال" إن هدف العرب والإسلام هو السيطرة على العالم كله و على الحكام العرب العلمانيين بمن فيهم العسكريون[2] التصدي لهذا الخطر. كما أنه يصف ثقافة الإسلام زوراً وبهتاناً " بعدم التسامح " إزاء الآخرين حيث يقول : إن المنطقة العربية تعيش فيها شعوب وجماعات عرقية ، وريفية ، مختلفة ، برابرة ، اكراد ، أقباط ، مسيحيون ، دروز، يهود، شركس ، آشوريون، يشكلون شريحة لا بأس بها من مجموع سكان المنطقة لكنهم لن يحصلوا على المساواة مع العرب وسيظلون دائماً ابناء طبقة أدنى ، ومن لم يرض بهذه المكانة المتدنية يتم قمعه وبوحشية أحياناً [3] ويقول في موضوع آخر " لم ينشر الكثير عن طابع العداء العربي للمسيحيين في الضفة الغربية إذ توجد اليوم في مكان مسيحي بارز مثل بيت لحم

[1] الرسالة 98/4/20.
[2] مكان بين الأمم ص 127.
[3] مكان بين الأمم ص 113.

أغلبية مسلمة كنتيجة لهجرة المسيحيين ، وأن الدول العربية دفعت بأموال كثيرة بهدف " أسلمة " البلاد وأعرب عن خشيته من انقراض الوجود المسيحي في الأرض المقدسة [1] بسبب ثقافة المسلمين

وبنفس الطريقة تقريباً يقول إيان لوستك في كتابه " الأصولية اليهودية: إن السلام مع العالم العربي مستحيل عملياً لأن أصوله ضاربه في التشنجات النفسية والثقافية العربية وفي الفرائض الدينية في الإسلام[2]. ويشير مؤلف آخر أن ثقافة المسلمين متعصبة

العداء الأمريكي الصهيوني لكل ما هو عربي: هذا العداء وكما تقول رئيسة اللجنة العربية الأمريكية لمكافحة التمييز الدكتورة **هالة مقصود** يمثل النظرة السيئة للعرب في العقلية الأمريكية فالعربي عبد الصحراء وإرهابي " بدون ثري ، يستحق السخرية والاستهزاء والمرأة العربية مختلفة[3] إضافة لعنوت وأوصاف أخرى " بائع متجول ، مساوم، غشاش ،شرير...وهذا العداء ليس جديداً بل هو قديم ....وقد أصدرت الكاتبة الألمانية زيغريد هونيكه كتاب بعنوان (الكابوس العربي الراسخ في أذهان الأوروبيين) كشفت فيه ما يزيد عن الف وهم في أعماق الاروبين تجاه العرب ،إزاء ذلك.

فعلى الجامعات الفلسطينية تشجيع المؤلفين والسياسين والأكاديمين الذين يدافعون أيضاً عن الثقافة ففي فرنسا وفي إحدى الندوات العلمية شارك فيها وزير خارجية فرنسا الاسبق أكد فيها على أن ثقافة المسلمين أنتجت حضارة عميقة وأشارة إلى أن قوى عظمى تريد من أمة العرب أن تكون خاضعة (للعولمة واقتصاديات السوق).وعودة للعداء الأمريكي والصهيوني للثقافة فقد سألت مجلة نيويورك وزير خارجية إيطاليا الذي كان رئيساًللمجلس الوزاري للمجموعة الأروبية عن مبرر استمرار حلف الأطلسي أجاب أن العدو الجديد هو العالم العربي والإسلام وعندما سئل عن كيفية تلافي المواجة أجاب :**الحل هو قبول الآخرين للنموذج الغربي في الثقافة** .ويقول د.محمد عمارة أن جميع الدراسات الغربية بعد انهيار الشيوعية أن العالم العربي و الإسلام هو العدو الجديد وذلك أن الثقافة العربية ورغم التكنولو جيا المعاصرة استعصت على العولمة والعلمنة ،ولا يزال الإيمان الديني في العالم العربي أشد مما كان منذ مائه عام ويشير د.محمد عمارة أن الرئيس الأمريكي نيكسون أصدر قبل وفاته كتاباً ضمنه مذكراته وأفكاره خلص فيه أن العالم العربي تتصارع فيه تيارات ثلاثة وأشدها خطراً التيار العربي الذي يهدف إلى بعث الحضارة الإسلامية من جديد , ولم ينسى نيكسون توجيه الدعوة لحلف الأطلنطي والمؤسسات الغربية توحيد قواها في الخطر القادم حضارة الإسلام [4]المنبعث في العالم العربي .

وهذه الصورة السيئة للعربي تراثاً وحضارة موثقة وصدر فيها مئات من الكتب والأبحاث حيث كشفت عن التجريح والتشويه والتحريف والتجديف للهوية العربية إضافة للتعريض بالماضي والتاريخ واتخاذ المواقف العدائية تجاه الهوية الإسلامية ومن هذه الدراسات والأبحاث البحث الذي قدمه **المفكر السويسري زنوبيت**[5] المقيم في أمريكا ونشر بحثه باللغة الألمانية وهي بعنوان الصورة السيئة للعرب في الولايات المتحدة الأمريكية ويشير الباحث إلى أن أحد قواميس اللغة في الولايات المتحدة إضافة إلى بعض المؤلفات العلمية المشهورة وأجهزة الإعلام المختلفة التي تنشر الصور والرسوم والمسلسلات والقصص الهزيلة المصورة المسماة comics كل هذه الوسائل تتضمن أوصافاً وألقاباً مخجلة عن العرب . وهذا وقد قام مركز دراسات الوحدة العربية بنشر عدة كتب حول هذا الموضوع ومنها صورة العرب في صحافة ألمانيا لسامي مسلم ," وصورة العرب في عقول الأمريكين ميخائيل سليمان ترجمة عطا الله عبد الوهاب , وصور العرب في الصحافة البريطانية لحلمي خضر ترجمة عطا الله عبد الوهاب , كما **يظهر التشوية الثقافي في مناهج التربية الصهيونية ففي الوقت الذي تحرص** فيه الحكومة الإسرائيلية على حذف المواد التي تكشف خفايا ومخططات الصيونية –الدراسية من مناهج الدول العربية التي

---

[1] ص 179.
[2] ص 157 .
[3] ملحق القدس الأسبوعي ص 9 ، 200/6/9 .
[4] جريدة الايام 1999/7/5 ندوة د.محمد عمارة في معهد الفكر الإسلامي بالقاهرة .
[5] جريدة القدس 1994/2/20 .

عقدت معها اتفاقيات السلام إلا أن الناهج العبرية الإسرائيلية تتضمن التشويه والتحريض ضد فلسطين وتاريخها ولا زالت الأكاذيب تدرس للطلبة الإسرائيليين في كل المراحل [1] ومصدر هذا التحريف والتشويه يمكن في الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية [2] ومهمة الجامعات عندنا تتمثل في وضع الخطط للتصدي لمحاولات التشويه المذكورة وفضح الممارسات والؤلفات التي تقف وراء التشويه للهوية والثقافة العربية .

الجامعات العربية مدعوة لإنشاء مراكز دراسات المستقبل ومراكز الدراسات الأجنبية تدق ناقوس الخطر: الجامعات العربية عليها إنشاء مراكز دراسات المستقبل وذلك لمواجهة المراكز التي أنشأتها بعض الحكومات الجامعات الأجنبية لرصد ما يحدث في العالم العربي , نتيجة لما يجري على الساحات العالمية من " تغيرات متسارعة " وقد قامت عدة حكومات ومنظمات عالمية بإنشاء هذه المراكز لدراسات المستقبل , فمركز دراسات المستقبل التابع لجامعة الأمم المتحدة في طوكيو والذي يقوم بإصدار التقارير عن مستقبل العالم , وكذلك " **البيت البرلماني لاستشراف المستقبل**" التابع للكونغرس الأمريكي برئاسة نائب الرئيس الامريكي آل غور وجميع دراساته تتناول العالم العربي وتدقيقا في جميع مناحي الحياة . كما أن عدة مؤتمرات علمية عقدت لغايات دراسة العروبة والإسلام ومنها المؤتمران المنعقدان في قبرص والجامعة العبرية قبل أكثر من سنة حيث حضرها مجموعة من قادة الغرب ومفكرية ومن المسائل والقضايا التي كانت قيد البحث والمناقشة مسألة " الصدام الحضاري " , الحتمي بين ثقافة الغرب من جهة والعالم العربي والإسلامي من جهة أخرى . كان **صموئيل هانتغتون " صاحب نظرية الصراع الحضاري** "أحد الحضور والذي قام بتجديد طرحها في مؤتمر قبرص كإحدى المشكلات الخطيرة بين عالم الغرب والعالم العربي وهو ما سأشرحه مقدماً في التحديات .وفي مؤتمر الدراسات الاستراتيجي في هرتسليا الذي عقد قبل أشهر أي في نهاية 2005 م حذر المجتمعون من الخط الإسلامي والثقافة الإسلامية في فلسطين بل قال بعضهم أن حرب عالمية ثالثة على الأبواب بسبب الثقافة العربية[3] . وذهب أحد الصحافيين إلى أن فوز التيار الإسلامي بانتخابات 2006 قد يؤدي لحرب عالمية ثالثة [4]

التحديات المعاصرة التي تواجه الهوية العربية

من أبرز القضايا المعاصرة التي تواجه الهوية العربية في العصر الحديث يمكن إجمالها بما يلي :

1- محاولات تكريس ثقافة " العولمة " وآثارها " .
2- ثورة الإتصالات والفضائيات ذات التقنيات المذهلة والإنترنت .
3- الانفلات الثقافي .
4- نظرية الصراع والصدام الحضاري .
5- قيام كثير من مدارس الاستشراق بتشويه معالم الثقافة .

وأهم ما في الأمر التحديات : أنها متداخلة ومؤثرة بعضها ببعض فثورة المعلومات نتيجة من نتائج العولمة ونظرية الصراع الحضاري كانت بسبب عدم حيادية ثقافة أوروبا ازاء العالم العربي والإسلامي وهذا بدوره يؤدي إلى إنفلات ثقافي لدى بعض المثقفين في العالم العربي ممن تأثروا بالعولمة وصارت عندهم القناعة بأن الثقافة الإسلامية هي سبب التخلف العربي وقد أعلن وطالب بعضهم بضرورة اللحاق بالعالم الأجنبي وطلب الحماية العسكرية من الأجانب . وهذا ما ورده الرئيس الأمريكي بعد أحداث أيلول 2001 (ينبغي أن نغير ثقافتهم)

---

[1] التربية في اسرائيل د .وائل القاضي .مركز البحوث نابلس .
[2] الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية روجيه جارودي . دار الغد القاهرة .
[3] صحيفة القدس 2005/5/12م.
[4] صحيفة الأيام 2006/2/22 نقلاً عن كاتب الإسرائيلي في صحيفة يديعوت احرنوت.

أولاً : العولمة والتعريف بها وكيف تطورت : صدر آخر تعريف للعولمة قبل عدة أشهر ضمن التقرير السنوي للبنك الدولي , وقد عرف التقرير العولمة بأنها " التكامل الأعظم للمجتمعات والاقتصاديات من خلال خفض الأسعار وتخفيف الحواجز وتحسين وسائل الاتصال وتكثيف الضغوط المتعلقة بالهجرة " وتحدث التقرير عن التطورات العولمة حيث أنها مرت بثلاث مراحل وهي

1- الأولى من 1870 – 1914

2- الثانية1950 – 1980

3- 1980- حتى الآن .

واقترح تقرير البنك الدولي جميع الدول الانتظام ضمن سياسة واقتصاد وفكر العولمة حتى نستطيع الخروج من الأزمات التي تعيشها .[1] ونظرا للتحدي الذي تشكله (العولمة) في الحياة المعاصرة فقد ظهرت الكتابات و (التقارير) وعقدت المؤتمرات , والندوات لدراسة ظاهرة العولمة ما بين مؤيد ومشجع لها وما بين محارب لها .فمؤيدوها يريدونها لأنها فتحت الأسواق العالمية أمام الدول الغنية واخترقت الحواجز السياسية , والفكرية ولها ثقافتها , وفلسفتها وإعلامها , وبرامجها , وأهدافها .ومحاربوها حذروا منها لأنها عبارة عن هجمة استعمارية بثوب جديد [2] وعرفها جيمس روزناو بأنها " العلاقة بين مستويات متعددة الاقتصاد , السياسة والثقافة , الايدولوجيا , ... ونتائج الصراع بين المجموعات المهاجرة والمقيمة "[3] وهناك من عرفها بأنها ثورة تكنولوجية واجتماعية , وأنها حقبة تاريخية مرادفة للكونية وفي تعريف آخر للعولمة بأنها " حالة تمكن الناس من التولصل اليومي وما يترتب على ذلك من أفكار ومذاهب اجتماعية وسياسية ودينية تمشياً مع النموذج الغربي والأمريكي على الخصوص " [4] وعرفها فوكامايا صاحب نظرية نهاية التاريخ بأنها " تعبير عن القيم الأمريكية " وجاء في تعريف آخر للعولمة بأنها إزالة الحدود الاقتصادية والعلمية المعرفية بين الدول ليكون العالم أشبه بسوق موحدة كبيرة يضم عدة أسواق [5] هذا وقد تنبهت الدوائر والمؤسسات الأكاديمية في العالم العربي لما تشكله ظاهرة العولمة فقام بعضها بعقد المؤتمرات والندوات لتحليل النتائج المترتبة على (العولمة) ومدى تأثيرها على الواقع الاجتماعي والأخلاقي والثقافي والسياسي والاقتصادي , وجاء في بعض الدراسات عنها : 1- أن العولمة تقف وراءها أمريكا للهيمنة على العالم , وأنها عبارة عن سلاح خطير يكرس الثنائية وانشطار الهوية الثقافية الوطنية .[6]

2- العولمة تخفي وراءها أبعادا سياسية أمنية , وأنها ليست آلية رأسمالية بل هي آيدلوجيا تعكس أثر الهيمنة على العالم عن طريق الاقتصاد والإعلام .[7] .

3-العولمة تتنافى مع العالمية , وثقافتها تسعى لاختراق الثقافات الأخرى وجمعها وإقصائها , وهي دعوة مفتوحة للتفتت بعيداً عن الوطن والأمة والدولة , ومن أجل ذلك ينبغي على الأكاديميين والسياسيين في العالم العربي الدفاع عن هويتهم الثقافية المهددة من العولمة .

4- الركائز التي تقوم عليها العولمة هي التجارة الحرة ورأس المال وتقنيات الإنتاج والتوزيع والاستهلاك لمحاربة القيم والأخلاق والفضائل والنظام الأسري .

5-الأهداف التي أعلنت عنها العولمة لتحقيقها بقيت حبراً على ورق لم ينفذ منها شيء .

---

[1] الأيام 13 / 2003/1 م

[2] مقال " فلسفة النعامة في عصر العولمة .د. عبدالله القرجي جريدة القدس 2002/8/13 م.

[3] ديناميكية العولمة نحو صياغة علمية مركز الدراسات ومن كتاب العرب والعولمة مقال . السيدسين ص26 .

[4] الإسلام والعولمة ص 131 – باختصار .

[5] العولمة وتحديات العصر ص 131 – باختصار .

[6] العرب والعولمة . مركز دراسات الوحدة العربية ص9.

[7] المرجع السابق مقال محمد عبد الجاري ص 300 .

6- إفرازات ثورة الاتصال فتحت أعين الفقراء على أنماط استهلاكية فوق طاقتهم يجري تسويقها بإعلام ترويجي يغذي الشهوات , وقد استطاعت الشركات عابرة القارات بفعل العولمة أن يكون لها قوة مسيطرة على الدول الفقيرة وقد أدى ذلك الى نفوذ هذه الشركات لتوجيه سياسات الدولة .[1]

واعتقد أن الجامعات الفلسطينية تستطيع بالرصيد الروحي والمعنوي والفكري لديها الوقوف في وجه العولمة وأهافها , وتستطيع عن طريق المساقات المختصة تحقيق التوعية الإعلامية وكذلك عن طريق المحاضرات والندوات مقاومة الأنماط الاستهلاكية , وتستطيع الجامعات بث روح القيم والفضائل عن طريق مناهجها زنشاطاتها الثقافية اللامنهجية وإثارة الحوافز الأخلاقية المؤدية للحصانةالذاتية الحامية من السقوط في مهاوي ردي الرذائل المادية والمعنوية وعلى رأسها الولاء للأجنبي وكل آثار العولمة .

والدور الذي تقوم به الجامعات في مواجهة تحدي العولمة ينبغي أن يشكل تياراً أكاديمياً علمياً للحيلولة دون الانغماس في مستنقعات العولمة , ومما ينبغي الإشارة إليه أن المظاهرات المناهضة للعولمة التي خرجت في سياتل 1999 وجنوه صيف 2001 وباريس 2001 , وبراغ منذ اكثر من سنة قد شكلت تياراً للوقوف في وجه العولمة , والجامعات في فلسطين تستطيع أن تشكل نواة أكاديمية فكرية للتصدي لكل السلبيات الناتجة عن العولمة التي هي إفرزات الحضارة المعاصرة وما يهمنا عند الحديث عن " العولمة " النتائج الثقافية المترتبة عليها ويرى برانت بلاكويلدر رئيس منظمة " أصدقاء الأرض " الأمريكية والتي لها فروع في 60 دولة بأن مؤتمر العولمة في قمة دافوس السويسرية المنعقدة في 21 / 2 /2000 ان العولمة بمؤتمراتها تسعى للتدمير السريع للبيئة والفساد والرشوة وازدياد الفجوة بين الأغنياء والفقراء . وقد طلبت منظمات غير حكومية عالمية التصدي للعولمة وإبراز آثارها السلبية خصوصاً التمايز الثقافي .[2] ويشير كثير من المراقبين إلى أن العولمة أصبحت رديفاً للأضرار الاجتماعية والاقتصادية وهذا بدوره أدى لخروج مئات ألوف من المتظاهرين في مدينة سياتل " ضد العولمة داعين إلى عدم نبذ القيم الإنسانية لصالح العولمة " هذا وقد أدت التظاهرات التي جرت ضد العولمة في سياتل بزعماء العالم الذين حضروا (قمة العولمة) في برلين بحث الأمور على ضوء الضغوط التي تتعرض لها (العولمة)[3], وأن أنصار العولمة يستعملون سلاح الاقتصاد , والتكنلوجيا , ونظام السوق , وخصومها يرون أنها بهذه الأسلحة يسعون إلى نشر الفقر ونسف الضمانات الاجتماعية والتأثير على السلوك البشري بإفساد الثقافة وتخريب القيم [4] بشعارات اقتصادية ويعترف نيكولاس سيرن رئيس البنك الدولي أن العولمة كانت قوة كبيرة لكن بلداناً وشعوباً كثيرة بقيت على خارج العولمة حيث أن ملياري شخص يعيش معظمهم في أفريقيا يتعرضون لخطر البقاء على هامش الاقتصاد العالمي , وقال سيرن أن بعض المخاوف من العولمة لها ما يبررها [5] ومن الذين تصدوا للعولمة مخدراً من خطورتها – أحد أشهر أطباء القلب في العالم وأول طبيب في العالم أجرى عملية نقل شرايين وهو رينيه فافالورو – وكان مما قاله :" العولمة" تظلم الفقراء والضعفاء والمرضى باسم الانفتاح والاستثمار إنها ليست عولمة بل إقطاع يعود من جديد فالأغنياء يزدادون غنى والفقراء يزدادون فقراً والحكومات تزيد فساداً والشركات تزداد ربحاً والمرضى يزدادون إهمالاً وموتاً [6] وبسبب غضبه على العولمة قام بالانتحار [7].

[1] من عولمة إلى عالمية . تحديات وأثار . أحمد صدقي الدجاني . القدس 29/ 12/ 2001 .
[2] الأيام 14/ 2 /2002 .
[3] القدس 2000/6/3
[4] القدس 2002/11/7 م .
[5] الايام 2002/11/1 م .
[6] الايام 2000/10/2 عدد 1720 .
[7] المرجع السابق .

العولمة والأخلاق :

وان اخطر ظاهرة للعولمة طرحها للقيم الأخلاقية جانبا , وأخطر الأبحاث المتعلقة بالأنسان أبحاث " الأستنساخ البشري " ومن أشدها خطراً أيضاً تلك الأبحاث المتعلقة بفك رموز المخزون الوارثي . فمنذ ثمانية عشر سنة تم تشكيل فريق دولي (كونسور رسيوم دولي) والذي يضم مراكز أبحاث جامعية لعشرين دولة تحت رعاية الولايات المتحدة الأمريكية وذلك لإنجاز (مشروع الجينوم البشري) وقد تم الإعلان عما أطلق عليه " أسرار الحياة " وإزاء هذا التقدم العلمي قامت مؤسسات قانونية بالمطالبة باعتماد تشريع لحماية الأمريكيين من أي شكل من أشكال التمييز الوراثي البشري ,

وأعرب أحد الباحثين وهو الدكتور فرانسيس كولينز مدير المعهد الوطني لأبحاث خارطة المخزون الوراثي البشري ومنسق أعمال الكونسور سيوم الدولي عن قلقه وزملائه لعدم – إدراك الناس الكامل للرهانات الأخلاقية والقانونية المحيطة بالأبحاث الوراثية[1] , وبمعنى آخر أين دور الثقافة والقيم في هذا الإنجاز العلمي ؟؟ ومن هذا المنطلق تبدو أهمية مواكبة القيم الثقافية للمنجزات العلمية". حيث أصبحت بحاجة ملحة لعملية التنمية الثقافية , وأصبحنا أحوج من أي وقت مضى إلى الذين يحملون عقل المهندس والطبيب على مستوى الفكر والثقافة ليقوم بعملية الإخلاء والإملاء لاعادة البناء وذلك لتنقية التصور , وتخليص العقل من النظرة الجزئية وذلك بالنقلة المعرفية والنهجية من خلال التراث والقيم للوصل إلى مرحلة التحقق الذاتي للهوية العربية ومرحلة التحصين لا يستطيع القيام بها سوى الجامعات .

"**وثيقة خطيرة لم يلتفت إليها أحد** "والوثيقة الموضوعة لغايات سيطرة العولمة " أعدتها لجنة استشارية أمريكية (لجنة هاري رورمان) ونشرته صحيفة الاستقلال نقلاً عن السياسة الكونية بتاريخ 4/ 2000 دراسة مهمة عن كيفية استعداد الولايات المتحدة الأمريكية لفرض الهيمنة عن طريق العولمة _وليس الإسلاميين _تعتبر اللجنة أن الإسلام الذي ينتمي إليه العالم العربي هو العقبة الكبرى أمام انتشار العولمة إذ لا توجد وسيلة مقبولة خارج نطاق الإسلام قادرة على إحداث عملية التوافق الاجتماعي للتغيرات الجذرية لتلك الدول لأن المجتمعات العربية الإسلامية متمسكة بالقيم الدينية وتتجه للتوفيق بين الدين والعلم، ولذلك فإن مواضع القلق في المنطقة العربية تسببها (1) الإسلام (2) البترول (3) التغير المفاجئ[2] .

العولمة وأثرها على مجالات الثقافة السلوكية: ومن الآثار السلبية للعولمة ظاهرة الانفتاح على الفضائيات والمحطات التلفزيونية (والأفلام الجنسية الشاذة) والتي أخذت تؤثر في سلوكيات الناس وأخلاقهم ومنها ظاهرة المسلسلات الأجنبية الخالية من الإبداع الثقافي، والمليئة بمواضيع لا تمت بصلة إلى قيم المجتمع العربي ويمكن القول ان هذه البرامج والمسلسلات المتناقضة مع ثقافتنا تشير إلى المرض الخطير في جهاز المناعة الثقافي لدى كثير من الناس نتيجة الفراغ الثقافي في الأذهان والذي بدوره سمح للتيارات الثقافية الخارجية غزو أفكار الكثيرين، والاستحواذ عليهم، وهذه البرامج الثقافية اثر من آثار " العولمة" التي تهدف إلى إلغاء التمايز الثقافي وخصوصية الهوية للانتقال إلى ثقافة العولمة وهو ما تسعى إليه دوائر أجنبية تدافع عن العولمة ويقول أحد الكتاب: " أن إغراق الوطن العربي بالثقافات الأجنبية على حساب الثقافة العربية خطأ فادح بحق الامة، والمطلوب لمواجهة تحدي العولمة تكوين وعي ثقافي مرتبط بالتراث، والوطن والتاريخ غير قابل للاختراق ،وان نعمل وفق مقولة لاحد الحكماء ان طعام الغرباء لا يشبع ، والأثواب المستعارة تظل تفتقر إلى الدفء وكذلك ثقافة الآخرين تبقى غريبة الوجه واليد واللسان[3] إن أعلام " العولمة" ساهم في تخريب الثقافة والمعرفة السلوكية لكثير من المثقفين وغير المثقفين التصرفات والسلوكيات غير المنضبطة[4] " وأعلام العولمة" والبرامج والأفلام يظهر تأثيرها على السلوك خاصة عند الأطفال وتشير جريدة الميرور البريطانية ان مضمون هذه البرامج يصب المرء

---

[1] القدس 2000/6/26 .

[2] الاستقلال 2000/4/20.

[3] القدس 2000/2/16، ص 22 مقال ظاهرة المسلسلات الأجنبية، لطفي زغلول.

[4] القدس العربي 1999/9/16.

بالصدمة لان جميع الخطوط الأخلاقية الحمراء المقدسة هي الآن آخذة في التلاشي وأدت إلى اغتيال الخصوصية الثقافية والاجتماعية في بريطانيا ورغم استياء الأوساط السياسية والاجتماعية المحافظة في بريطانيا إلا أن الأمور آخذه في التدهور[1].

والعودة للجذور الثقافية لم يعد مطلباً للجامعات العربية بل هو مطلب و مصلحة للجامعات البشرية جمعاء لأن الثقافات البديلة أدخلت التشرذم النفسي إلى البيوت وأطلقت العنان لشهوات الجنس والسقوط وفي هذا السياق يصرح **مدير نقابة المستمعين و المشاهدين في بريطانيا : اثر الارتفاع المذهل في عدد الشكاوي ضد جميع محطات التلفزة البريطانية :** يوجد استياء و عدم رضا بين المشاهدين البريطانيين من البرامج الثقافية المفروضة عليهم و يشير الى " حملة لانشاء تلفزيون نظيف داخل بريطانيا . وجاء في تقرير المفوضية لمعايير البث التابعة ل BBC البريطانية ان المحطات الاعلامية مع عدد كبير من المشاهدين يؤكدون ان البرامج الثقافية فيها خروج عن الذوق اضافة للعنف و البذاءة الاخلاقية ، وان السيل قد بلغ ذروته في الفترة 98–99م . و اذا كان هذا يحدث في بريطانيا ، فالجامعات في فلسطين أولى ان تقود تيار المحافظة على الثقافة المهددة من (العولمة الرأسمالية المهيمنة) :ويقول الدكتور أحمد زرويل الحائز على جائزة نوبل 1999م ، و صاحب الاختراع العلمي الكيميائي الفتوكستري الذي تبلغ سرعته 1– 1000 مليون من الثانية ان من الخطأ استنساخ الحضارة الامريكية فنحن لدينا تصورنا الخاص و لدينا ثقافة و دين يختلفان عن امريكا يجب ان يستفيد من التقدمات والاكتشافات دون الذوبان فيها [2] و حذر زرويل من مخاطر الذوبان في العولمة لأن اخطر ما في المجتمعات العربية المعاصرة التي تستهدف خلخلة المفهوم العام "الهوية العربية " فيما يتعلق بالقيم الاخلاقية و العلوم الانسانية ،والاداب ،والفنون ،العادات ،والتقاليد و خلخلة المفهوم العام هو محاولة لاختراق جوهر الخصوصية للهوية العربية ومن ثم اقتحام عماد الذات الحضارية و ذلك تحت شعار "العولمة" ولا يخفى ان ثقافة العولمة المطلوبة تستلزم قبول العديد من القيم والمفاهيم التي لا تستقيم مع الاعتبارات الأخلاقية و الدينية للهوية العربية وبعبارة اخرى فإن مفهوم ثقافة العولمة يؤدي الى إهدار قيم الثقافة للهوية العربية[3].

ثانياً: ثورة المعلومات و الاتصالات (الفضائيات) : مما شك فيه ان أجهزة ثورة المعلومات والاتصالات لها وجهان : وجه إيجابي ، ووجه سلبي ، ولست بصدد مناقشة الوجه الإيجابي لهذه الثورة لانه من الجوانب الهامة في إثراء الثقافة إنما على الباحثين مناقشة الجانب السلبي لهذه النقلة العالمية المذهلة والمتمثلة بثورة الاتصالات ، والفضائيات و مدى تأثيرها على الثقافة الإسلامية هذه النقلة التي كشف جانبها السلبية بآثارها المدمرة فألحقت بهم الخراب فتبعثرت أفكار وتمزقت هويتهم ونتيجة لذلك فقد قامت عشرات الدول الأوروبية وغير الأوروبية بتوقيع وهذه مشتركة تتعلق بمكافحة الجرائم التي ترتكب عبر شبكة الإنترنت مثل جرائم الاحتيال والتزييف و حيازة مواد إباحية واغتصاب (عن طريق الإنترنت) وخاصة اغتصاب الاطفال [4]كما حذر بعض المسؤولين في السويد من خطر الانترنت على المجتمع اذ انه اصبح احدث وسيلة لتهريب المخدرات[5]

فالصورة الالكترونية والومضة السريعة لها جوانبها السلبية تتنافى مع اصول و قواعد ثقافتنا وأعرافنا و تقاليدنا ، (وثورة الاتصالات والفضائيات ليست) ظاهرة عابرة بل اضخت حقيقة فيكل بيت فيه اثر من آثار العولمة التي تطرح

---

[1] الايام 1996/9/3.
[2] 1القدس ص 14 ،2000/2/1.
[3] ثقافة السلام د.صلاح سالم زرنوقة مركز الدراسات بالاهرامات عن الايام 1996/8/2،ص9،باختصار.
3الايام القدس 2001/11/25م .
[4] الحياة الجديدة 2003/1/12م.

قضايا السياسة والاخلاق والاجتماع للنقاش والجدال ، والجامعات تظهر دورها جليا في نبذ و أبعاد الآثار السلبية ما استطاعت إلى ذلك سبيلا .

واعتقد أن التوعية الثقافية للجيل المتعلم في الجمعيات عن طريق المساقات المتنوعة هو الدرع الواقي للحماية من آثارها بحيث أن نخبة من هذا الجيل تصبح عنده قدرة وملكة للتمييز بين الغث والسمين ، بين ما هو حق ويتفق مع ثقافتنا وهويتنا وبين ما هو باطل يتنافى معها يقول مالك بن نبي. **فيلسوف الجزائر:** الثقافة تعطي العلم والسلوك والغنى الذاتي الذي يتواجد في كل مستويات المجتمع ، والثقافة تعطي امتلاك القيم لإنسانية التي تخلق الحضارة إنها تبتكر في الإنسان أن يراقب السيطرة على ذاته وعلى الأشياء التي ابتدعتها عبقرية وبكلمه مختصرة أن يتحضر أهم عنصر من عناصر الحضارة : الإنسان المتميز [1]الواعي الذي يملك القدرة على التغيير بعد اجتياز مرحلة التلقي الثقافية ، و هذا لا يتم ألا بالجامعات ومن خلالها .

ثالثاً : الانفلات الثقافي : الانفلات الثقافي معناه باختصار الخروج على القيم ومحاربة تراث الثقافة وهذا الانفلات يدخل في التحديات التي تواجهها الثقافة ذلك ان موجات الانفلات الثقافي و الفكري تظهر بين فينة وأخرى ، وموجات الانفلات لا تقوم على أسس علمية بل على شحطات فكرية يسعى أصحابها إلى الشهرة فمن تشكيك بالثقافة ومصادرها إلى دعوة لفصلها عن الحياة والدولة و المطالبة ببحثها فيدور العبادة فقط !! إلى حملات باستبدالها بثقافة أخرى إلى الخروج عليها بدواعي الإبداع والتجديد الثقافي والخطورة في هذا التحدي أن أقلاما و صحفا متنفذه تؤيد كل خروج على الثقافة والتراث (كما ان تلك الأقلام تفسر التجريح والتشويه والبذاءة بأنها إبداع ثقافي !!! بل إن الصور التي نشرت وأساءت للنبي عليه السلام جاءت بعد الإعلان عن مسابقة وفيها جوائز.

رابعاً: الهوية العربية ونظرية الصراع والصدام الحضاري ": نظرية الصراع او الصدام بين الحضارات كان أول من افصح عنها بشكل علني المستشار في وزارة الخارجية الأمريكية سابقا و أستاذ العلوم السياسية في جامعة هارفارد (صامويل هانتغتون) حيث نشرت مقالته الدورية "(فورين افيرز) ويرى هانتغتون ان الصراع الحضاري القادم سببه الاختلافات بين الحضارات في اللغة و التاريخ والثقافة والدين ، وان الاختراق بين الغرب والعروبة والإسلام ما يزال موجوداً لنشر القيم السياسية والدينية ويخلص هانتغتون إلى أن تطلع الشعوب الديموقراطية قد يؤدي لترجيح كفة الإسلاميين في العالم العربي الذين يمثلون تهديداً جديداً للغرب إضافة للاختلال في المعادلة الديموغرافية (ويقصد إن نسبة الزيادة السكانية في العالم العربي تفوق بكثير النسبة لدى أوروبا وأمريكا[2]. وما يتبع هذه الزيادات الكانية من محاولات لنشر القيم السياسية والدونية ويخلص هانتغتون نظريته فيما يلي[3]:

1- المصدر الساسي للنزاعات في العلم الجديد والإنقسامات الكبرى والنزاعات بين البشر ستكون ثقافية أي انقسامات بناءً على الهوية !!!

2- طبيعة الحضارات باعتبارها الكيان الثقافي الذي يتحدد بعناصر موضوعية مشتركة مثل اللغة ،والدين ،والتاريخ،والتجديد الذاتي وطبيعة الحضارات يظهر فيها خطوط التقسيم الثقافية التي تؤدي للصدام الحضاري للأسباب التالية :

أ-الفروق بين الحضارات وتمايزها بعضها عن بعض .

ب-حيث أن العالم اصبح مكاناً صغيراً الأمر الذي عزز بدوره العداوات والخلافات الضاربة الجذور في التاريخ.

ج-أثر الثقافة الدينية في ترسيخ الصراع الحضاري.

د-العودة إلى جذور الحضارة كما هو ظاهر الحال "الشرق الأوسط ومحاولات أسلمته.

ه-عدم قابلية الخصائص الثقافية "للتبديل".

---

[1] من أجل التغيير ص 55، وشروط النهضة ص 50 ومشكلة الثقافة.

ويدلل هانتغون على نظريته بما يسميه بخطوط التقييم الحضاري والتعبئة الحضارية في البلدان المتقاربة (كالبلدان العربية) فالصراع الحضاري أحد التحديات الذي تواجه الثقافة العربية في العصر الحديث .وأخطر ما جاء في مقولات هنتغتون بعد نظرية صدام الحضارات دفاعه عن العولمة بل من المنادين بها وذلك للأسباب التالية 1-أن العولمة في نظره هي امتداد لنظرية صراع الحضارات ولأن العولمة طرح أمريكي ينبغي أن يتفوق على غيره (ويقصد تفوقه على الهوية العربية والإسلامية).2-العولمة تساعد في انتشار الديمقراطية . 3-الدول الرأسملية التي تؤيد العولمة فيها حريات سياسية أما غيرها فليس حريات سياسية والعالم العربي بنظرته يحتاج إلى عولمة لتكون فيها حريات!!! وممن هو على درجة الخطورة في توجيهاته السياسية المعاصرة من أعداء الثقافة برنرد راسيل الخبير السياسية العالمي الذي أوشك ان يصل عمره المائة سنة ومع ذلك فلا زال يكتب ضد ثقافة الإسلام مع خبير آخر هو هنري كسينجر وما ادراك من هو كسنجير إنه عراب المحافظين الصهاينة الجدد في امريكا اليوم !!! والمحافظون هم ألد أعداء الثقافة

واعتقد أن دور الجامعات في فلسطين هو الرد على طروحات صموئيل يتمثل في الدعوة للتراث ومبادئ الهوية العربية ومنها مبدأ الشورى وحرية النقد يقول سبحانه وتعالى :"وأمرهم شورى بينهم ".ومبدأ الشورى يغنينا عن الديمقراطية الغربية .ويدحض المفكر الإنجليزي فريد هاليدي Fred Hallidy في كتابه خرافة المواجهه " "الإسلام والغرب" خرافة المواجة Islam And The Myth of Confrontation فكرة الصراع الحضاري الحتمي ويقول :لعل التهمة الأكثر شيوعاً ضد العروبة والإسلام أنه يبيح الإرهاب علماً أنه يبيح الإرهاب علماً بأنه ليس هناك علاقة لازمة أو تاريخية بين الإرهاب والعرب والإسلام وأن مفهوم الخطر الغربي الإسلامي ذاته أكذوبة والحديث عن صراع تاريخي دائم بين العلمين العربي والاجنبي إنما هو لغو .[1]

ونظرية صدام الحضارات : تعرضت لكثير من النقد لخلودها من المنهج العلمي أولاً ولإرتباط صاحبها بدائرة العلاقات الخارجية [2] فيما اعتبر أكثر من مفكر أن هذه النظرية فيها ودعوة صريحة لدعم النزاعات العدوانية وتحريض للغرب على العالم العربي ناهيك عن أن مصادر معلومات هذه النظرية سطحية والنظرية تخلو من الموضوعية[3]و يتصدى د. إدوارد سعيد في كتابه تغطية الإسلام Covery Islamلتشويه الغرب الثقافة والهوية العربية عن طريق التغطية الإخبارية ، وحجب الحقائق الذي ينجم عن تشويه الموضوع [4].

خامساً: قيام مدارس الاستشراق الأوروبي بتشويه معالم الثقافة

تشويه معالم الثقافة في العقلية الأوروبية والأمريكية لم يأت من فراغ بل جاء نتيجة إعداد وتخطيط منهجي أشرفت عليه مدارس استشراقية ساهمت في تغذية الفكر الغربي وحالت بين هذا الفكر وبين النظر بموضوعية وإنصاف للهوية العربية ، وأكثر المدارس الاستشراقية كانت ولا تزال تستشعر في داخلها الهيمنة والعدوانية والعنصرية[5]. ولهذا فإن كتابات أكثر المستشرقين ظهرت آثارها في الفكر والإعلام والأدب تصور الهوية العربية وثقافتها بأنها ثقافة متعطشة للدوم تورث الغدر والخديعة واتباعها قادرون على المراوغة ولقد جاء في ذيل المساقات الذي وضع لطلاب كلية كولومبيا ان كل لفظة من لفظتين في اللغة العربية ذات علاقة بالعنف [6]. ويأتي د. إدوار سعيد بمئات الشواهد من أن المدارس الاستشراقية

---

[1] ص116

[2] القدس 1997/4/13م.

[3] إدوارد سعيد يرد على هانتغتون- القدس 1995/2/26.

[4] دراسة في كتاب إدوارد سعيد لصبري حافظ / جامعة لندن القدس ص 1995/8/14.

[5] الاستشراق بين دعاته ومعارضيه محمد أركون وآخرون . سموم الاستشراق والمستشرقين أنور الجنيدي.

[6] الاستشراق د. إدوار سعيد ص 278 ص 294 – 296 بتصرف.

والمؤسسات التابعة لها من مطابع ومدارس وجامعات ومشافي كانت عبارة عن كوكبة امبريالية سهلت الاختراق الأوروبي الأمريكي للبلاد العربية . ويشير أحد المؤلفين أن كراهية العرب يرتضعها الأوروبي مع لبان أمة وذلك نتيجة موضوعية لعدم أنصاف غالبية المستشرقين في كتاباتهم عن الهوية العربية وفنونها وعلومها [1].

ويعترض يوجين مايرز في كتابه " الفكر العربي والعالم الغربي " أن كثيراً من كتابات المستشرقين وبخاصة الانجلوسكونية والفرانكفونية (الانجليزية والفرنسية) والأمريكية كانت تقدم كأبحاث لوزارة المستعمرات لأحكام السيطرة على البلاط العربية والإسلامية[2]

كيفية مواجهة تحديات العولمة

ولمواجهة تحديات العولمة يرى د. العلامة يوسف القرضاوي أنه لا بد من التسلح العقلية العلمية التي ترد كل شيء إلى العلم ، وتزن كل شيء بالمنطق ، ولا تقبل دعوى بلا برهان، وإذا كان ولا بد ان نأخذ بالمعاصرة فينبغي عدم التفريط بالأسلحة التي تركز على العقل وتحد من الغوغائية، أسلحة قائمة على الفكر والمرونة التي تتوافق مع البيئات والأزمان والأحوال ورأى القرضاوي ان الخطاب المطلوب لمواجهة تحديات العولمة ينبغي أن يرتكز على عشرة أسس وهي:

أولاً : الانتقال من الشكل والمظهر إلى الحقيقة والجوهر.

ثانياً : ومن الكلام والجدل إلى العطاء والعمل.

ثالثاً : من العاطفة والغوغاء إلى العقلانية والعلمية .

رابعاً : من الفروع الذيول إلى الرؤوس والأصول .

خامساً : من التعسير والتنفير إلى التيسير والتبشير.

سادساً: من الجمود والتقليد إلى الاجتهاد والتجديد .

سابعاً: من التعصيب والانغلاق إلى التسامح والانطلاق.

ثامناً: من الغلو والانحلال إلى الوسطية والاعتدال .

تاسعاً: من العنف والنقمة إلى الرفق والرحمة.

عاشراً: من الاختلاف والتشاحن إلى الائتلاف والتضامن.

وهذه الخطوط أو الأسس تكاد تكون منهجاً عقلانياً لمواجهة تحديات العولمة واعتقد أن المكان الذي يستطاع من خلاله مواجهة العولمة وتحدياتها هو الجماعات ، فالجامعات ليست مراكز مختبرات علمية وهندسية وتكنولوجية فحسب ، بل هي ميادين واسعة للتلاقح الفكري والروحي والمعنوي لتثبيت مرتكزات الهوية العربية في عقول وأفئدة الطلبة الجامعيين العرب الذين يشكلون النخب الثقافية القادرة على صياغة الأفكار والمعاني والنماذج التي يستدعي تطبيقها التفاعل معها في المجتمعات العربية المعاصرة والنخب الثقافية التي تستطيع أن تولى مهمة التفاعل ليست مقتصرة على تخصص معين من التخصصات الأكاديمية الجامعية بل هي مفتوحة لجميع التخصصات في علوم الشريعة والقانون في الطب والصيدلة والهندسة و التكنولوجيا والآداب والآداب والفنون والاقتصاد والعلوم السياسية والتربية .

[1] أساليب الغزو الفكري . علي جريشة وآخرون ص 22.
[2] نقلاً عن الأيام 2000/1/21.

الخاتمة

وإذا كانت الثقافة هي صمام الأمان للوحدة الوطنية فلا بد إذن أن تتأسس هذه الوحدة على مرتكزات هوية الأمة وعقيدتها وقيمها وأخلاقها ، ولأن وحدة الوطن لا يمكن – كما يقول المفكر الإسلامي محمد عمارة– أن تقوم على إنقاص هوية الأمة وخصوصاً إذا اختلفت عقائدها الدينية، وهذا ما نادى به أحد كبار رجال القانون في العصر الحديث وهو الدكتور عبد الرزاق السنهوري حيث قال: إن الإسلام دين ومدينة ، والمدنية[1] الإسلامية لا تعني مجتمعاً للمسلمين فقط. بل هو مجتمع لجميع المواطنين المقيمين فيه فتاريخ الجميع مشترك والكل يتضافر على إنجاح التعايش المشترك ولأن الشريعة الإسلامية لا ينبغي الاقتصار على كونها صالحة لتطبيقها على المسلمين وحدهم في العصر الحاضر بل على غير المسلمين أيضاً وذلك دون إرغام غير المسلمين على إتباع ما يخالف عقيدتهم، فكما أن وحدة الأمة تكمن في هويتها العربية فهي كذلك تكون في مدنيتها وشريعتها وقانوناً وثقافتها [2]. وأعتقد ان انتخابات 2006م بنتائجها التي أذهلت قادة العالم زادت من قناعات الشعب الفلسطيني بضرورة التمسك بالثقافة الإسلامية واكثر من ذلك فإن مراكز الدراسات في العالم الأجنبي عقد اجتماعات متعددة لدراسة ظاهرة تنامي الثقافة الإسلامي وأثر ذلك على حكومات العالم العربي . وأعتقد ان تداول السلطة سليماً عبرت عنه ثقافة فلسطين وشعب فلسطين وهو ما يصلح كنموذج للتغير الأصلح في العالم العربي كما أن فلسطين هي النموذج الأمثل للتعايش بين المواطنين المسلمين والمسيحيين والسامرين الفلسطينيين أما أولئك الذين احتلوا ديارنا فاعتقد أن ثقافتنا تختلف عن ثقافتهم العنصرية الداعية لاستئصال أهل فلسطين وهذا ما لن يتحقق لهم بمشيئة الله تعالى .

[1] مصادر الحق ص 14.
[2] مقال د. أحمد عبد الملك . تعليق على رؤية د. القرضاوي . القدس 2003/2/1 ص 23.

المراجع

1) الإسلام والعولمة مجموعة محاضرين الدار القومية العربية . القاهرة 1997.
2) العرب والعولمة مجموعة محاضرين الدار القومية العربية . مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت.
3) العولمة والتحولات المجتمعية ، المركز القومي مكتبة مدبولي القاهرة 98 .
4) العولمة والهوية جامعة فيلدلفيا مؤتمر علمي عمان 99
5) ظاهرة العولمة الدكتور محي محمد سعد القاهرة مكتبة المعارف 99
6) العولمة وتحديات العصر, الدكتورة بثينة عمارة ، القاهرة ، دار الأمل .
7) مزالق العولمة ، مركز أبحاث دار الفارابي
8) من روائع حضارتنا. د.مصطفى السباعي. دار الفكر. دمشق 1974م
9) نظرات إسلامية . د. معروف الدواليبي . دار الكتاب الجديد . دمشق .
10)لمحات في الثقافة الإسلامية د. عمر عودة الخطيب . مؤسسة الرسالة . بيروت.
11)تفسير القرآن العظيم . الحافظ عماد الدين ابن كثير. دار الفكر . بيروت.
12)منهج الحضارة الإنسانية في القرآن . د. محمد سعيد رمضان البوطي . دار الكتب القاهرة.
13)الجامع لأحكام القرآن. أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي . دار الكتب القاهرة.
14)في ظلال القرآن . سيد قطب. دار إحياء التراث . بيروت.
15)مكان بين الأمم . بنيامين نتنياهو . ترجمة دار الجليل . عمان 1997.
16)Michael Schjwatex War and TERRITORIWS IN THE
17)الأصولية اليهودية في إسرائيل . ايان لوستك . ترجمة حسني زينة . بيروت مؤسسة الدراسات 1991.
18)المشاهد السياسي . هيئة الإذاعية البريطانية عدد 43 يناير 1997.
19)التحديات الثقافية والغزو الثقافي والغزو الثقافي مكتب التربية والتعليم لدول الخليج . مسقط – عمان . 1985م.
20)مدخل إلى إسلامية المعرفة . أ. عماد الدين خليل . المعهد العالمي للفكر الإسلامي . فيرجنيا. امريكا .
21)حصاد الغرور أ. محمد الغزالي . المختار الإسلامي . القاهرة .
22)ثقافة الداعية د. يوسف القرضاوي. مؤسسة الرسالة .
23)صورة الإسلام والشرق في ألمانيا. آنماير شيمي . ترجمة د. عادل أسطة . معهد الشرق الألماني . هامبورغ.
24)الإسلام كبديل . د. فيلفريد هوفمان . ترجمة د. غريب محمد غريب . دار يافرايا ميونخ ألمانيا .
25)الحياة اللندنية . لندن . مقال رغيد الصلح إشكالية الهوية الثقافية . نقلاً عن جريدة القدس 1999/10/20م.
26)حضارتنا مهددة من داخلها . محمد حسين . بيروت 1977 المكتب الإسلامي.
27)الإسلام والحضارة الغربية محمد حسين بيروت 1977 المكتب الإسلامي .
28)" الاستشراق والمستشرقون " . مكتبة دار الشروق جدة.
29)من أجل التغيير مالك بن نبي دار الفكر بيروت .
30)التربية في إسرائيل . د. وائل القاضي. مركز الأبحاث والتربية نابلس.
31)جوانب علمية في الحضارة الإسلامية. منشورات جمعية الدراسات والبحوث 1985.
32)الاستشراق . المعرفة . السلطة الإنشاء إدوارد سعيد. مؤسسة الأبحاث العربية. لبنان.
33)الاستشراق بين دعاته ومعارضيه. محمد اركون وآخرون دار الساقي. بيروت.

34)الإسلام والمواجهة – خرافة المواجهة فريديها ليداي– دار الساقي. بيروت 1997م.
35)صدام الحضارات . صامويل هانتغتون وآخرون مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق .
36)حول تشكيل العقل المسلم عماد الدين خليل . المعهد العالمي للفكر الإسلامي– طبعة الكويت 1998.
37)مدخل إلى إسلامية المعرفة مع مخطط مقترح لاسلامية علم التاريخ . عماد الدين خليل . المعهد العالمي للفكر الإسلامي .
38)فلسطين المسلمة عدد حزيران 1993م.
39)مع القرآن . محمد الغزالي . دراسة عمر حسنة . معهد الفكر الإسلامي فيرجينا . أمريكا .
40)معالم الثقافة الإسلامية . د. أمير عبد العزيز . مكتبة الخليل .
41)جريدة القدس. القدس . عدد تاريخ 1999/1/9م.
42)جريدة الشرق الأوسط عدد 6598 تاريخ 1996/12/21 ص 15.
43)جريدة القدس 29–12–2001.
44)مجلة الاقتصاد الإسلامي دبي عدد شباط 1997.
45)مجلة الوسط عدد 432 أيار 2000.
46)مجلة العربي عدد 432 تشرين الثاني 1994م.
47)مجلة المجتمع الكويتية عدد 794 عدد 1986/12/2م.
48)مجلة الوسط اللندنية عدد 82432 . تاريخ 2000/5/14.
49)جريدة الدستور الأردنية عدد تاريخ 1997/5/9م.
50)مجلة العربي عدد نيسان 1999م عدد 477 آب 1998.